

اِتِّقَانُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرَفِ وَالْمِهْنِ

سبيل الأمم المتقدمة



جمع ومربيته
من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي
النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

الْحَثُّ عَلَى الْعَمَلِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

«فِدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ هُوَ دِينُ الْحَرَكَةِ النَّافِعَةِ، وَالنَّشَاطِ الْمُتَوَثِّبِ، وَالْعَمَلِ الدَّءُوبِ، يَحُثُّ الْإِسْلَامُ عَلَى ذَلِكَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَجْعَلُهُ نَوْعًا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَعُدُّهُ قِسْمًا مِنَ الْعِبَادَاتِ.

الْإِسْلَامُ يَكْرَهُ الْكَسَلَ وَالْخُمُولَ، وَيَكْرَهُ الْإِتِّكَالَ عَلَى الْغَيْرِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠] (١). (*)

فَإِذَا فُرِغَ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ لِلتَّجَارَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي حَوَائِجِكُمْ وَمَطَالِبِ حَيَاتِكُمْ، وَمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ، وَاطْلُبُوا رِزْقَ اللَّهِ بِأَنَاءَةٍ وَرِفْقٍ،

(١) «تيسير العلام شرح عمدة الأحكام» لعبد الله آل بسام: مقدمة قسم المعاملات، (ص ٤٤٦-٤٤٧)، بتصريف يسير.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» (الْمُحَاضِرَةُ الرَّابِعَةُ وَالْخَمْسُونَ)، الْخَمِيسُ ٤ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ | ١٨-٢-٢٠١٠م.

مَعَ صَبْرٍ وَكَدْحٍ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ رَغْبَةً فِي الْفَوْزِ
بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (*)

وَقَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَأَخْرُونَ يَصْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
وَأَخْرُونَ يَقْنِطُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

مُسَافِرُونَ يُسَافِرُونَ لِلتَّجَارَةِ؛ لَيْسْتَغْنُوا عَنِ الْخَلْقِ، وَيَتَكَفَّفُوا عَنِ النَّاسِ (*) (٢/).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾

[البقرة: ١٩٨].

أَخْبَرَ -تَعَالَى- أَنْ ابْتِغَاءَ فَضْلِ اللَّهِ بِالتَّكْسِبِ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ وَغَيْرِهِ لَيْسَ
فِيهِ حَرَجٌ إِذَا لَمْ يَشْغَلْ عَمَّا يَجِبُ إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ هُوَ الْحَجُّ، وَكَانَ الْكَسْبُ
حَلَالًا مَنْسُوبًا إِلَى فَضْلِ اللَّهِ، لَا مَنْسُوبًا إِلَى حِذْقِ الْعَبْدِ وَالْوُقُوفِ مَعَ السَّبَبِ
وَنَسْيَانِ الْمُسَبَّبِ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْحَرَجُ بَعِيْنِهِ. (*) (٣/).

وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ اللَّيْلَ لِرَاحَةِ الْبَشَرِ، وَالنَّهَارَ لِطَلَبِ الرِّزْقِ، وَتَحْصِيلِ
أَسْبَابِ الْمَعَاشِ؛ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۗ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾

[النبا: ١٠-١١].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيْقُ عَلَى مُخْتَصِرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الجمعة:

١٠].

(*) (٢/) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تَفْسِيرُ الْعَلَامَةِ السَّعْدِيَّةِ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُرْمَلِ)، السَّبْتُ ١٥ مِنْ

صَفَرٍ ١٤٣١هـ | ٣٠-١-٢٠١٠م.

(*) (٣/) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تَفْسِيرُ الْعَلَامَةِ السَّعْدِيَّةِ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ).

إِتْقَانُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرْفِ وَالْمَهِنِ سَبِيلُ الْأَمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ سِتْرًا وَغِطَاءً، وَقَطْعًا لِلْحَرَكَةِ، وَتَحْصِيلًا لِلرَّاحَةِ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ وَقْتًا لَطَلْبِ الْعَيْشِ وَالرِّزْقِ، وَتَحْصِيلِ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وَالْحَيَاةِ. (*)

وَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ ﷻ لِعِبَادِهِ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ؛ وَصُولًا إِلَى الْغَرَضِ، وَدَفْعًا لِلْحَاجَةِ؛ حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وَأَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ الْأَرْبَاحَ فِي التِّجَارَةِ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ نَفْعٍ لِلْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَحَرَّمَ الرِّبَا الَّذِي هُوَ زِيَادَةٌ فِي الْمَالِ لِأَجْلِ تَأْخِيرِ الْأَجْلِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ اسْتِغْلَالٍ وَضِياعٍ وَهَالِكٍ. (* / ٢).

وَجَعَلَ اللَّهُ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً لِلْبَشْرِ، وَسَخَّرَ لَهُمُ الْخُلُوقَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ؛ مِنْ أَجْلِ حِرَاةِ الْأَرْضِ وَزِرَاعَتِهَا وَتَعْمِيرِهَا، وَمِنْ أَجْلِ تَرْقِيَةِ الْحَيَاةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً سَهْلَةً مُطَوَّعَةً، تَحْرُثُونَهَا وَتَزْرَعُونَهَا، وَتَسْتَخْرِجُونَ كُنُوزَهَا، وَتَنْتَفِعُونَ مِنْ طَاقَاتِهَا وَخَصَائِصِ عَنَاصِرِهَا، فَأَمْشُوا فِي جَوَانِبِهَا وَأَطْرَافِهَا وَنَوَاحِيهَا مَشْيًا رَفِيقًا لِتَحْصِيلِ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ، وَكُلُوا مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَاکْتَسَبُوا الرِّزْقَ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ، وَتَذَكَّرُوا يَوْمَ الْحِسَابِ، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ تُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَفَصْلِ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ. (* / ٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيْقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النبا: ١٠] - [١١].

(* / ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيْقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [البقرة: ٢٧٥].

(* / ٣) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيْقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الملك: ١٠].

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٣].

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّحَابِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِذَلِكَ الْمَاءِ الْمُخْتَلِطِ بِتُرَابِ الْأَرْضِ، أَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، وَذَلَّلَ لَكُمْ السُّفْنَ الْجَارِيَةَ عَلَى الْمَاءِ وَفَقَّ نِظَامِ الطَّفْوِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ فِي كَوْنِهِ؛ لِأَجْلِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا فِي جَلْبِ الرِّزْقِ مِنْ بَلَدٍ لِآخَرَ، وَذَلَّلَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ تَشْرِبُونَ مِنْهَا وَتَسْقُونَ زَرْعَكُمْ، وَأَشْجَارَكُمْ، وَأَنْعَامَكُمْ، وَدَوَابَّكُمْ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ أُخْرَى.

وَذَلَّلَ اللَّهُ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ دَائِمًا فِيمَا يَعُودُ إِلَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ، لَا يَفْتَرَانِ عَنْ حَرَكَتَيْهِمَا مِنْ انْقِضَاءِ عُمُرِ الدُّنْيَا وَذَهَابِهَا، وَذَلَّلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعَاقَبَانِ فِي الظُّلْمَةِ وَالضِّيَاءِ، وَالنُّقْصَانِ وَالزِّيَادَةِ، لِتَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ وَتَسْتَرِيحُوا، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فِي النَّهَارِ وَتُدَبِّرُوا مَعَايِشَكُمْ. (*)

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي خَلْقِ اللَّهِ لِخُلُوقَاتِهِ فِي أَرْضِهِ، وَتَسْخِيرِهَا لِلْإِنْسَانِ، يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الصَّنَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ قَامَتْ بِسَبَبِ هَذَا التَّسْخِيرِ وَالتَّنْذِيلِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۗ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [إبراهيم: ٣٢ -

إِتْقَانُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرْفِ وَالْمَهَنِ سَبِيلُ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ

جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿النحل: ٨٠-٨١﴾.

اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الَّتِي هِيَ مِنَ الْحَجَرِ رَاحَةً وَاسْتِقْرَارًا وَمَسْكَنًا تَسْكُونُونَ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ فِي الْحَضَرِ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ - وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ - خِيَامًا يَخْفُ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا فِي يَوْمِ سَيْرِكُمْ وَرَحِيلِكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ، وَتَخْفُ عَلَيْكُمْ - أَيْضًا - فِي إِقَامَتِكُمْ وَحَضْرِكُمْ، وَلَا تَثْقُلُ عَلَيْكُمْ فِي الْحَالَيْنِ.

وَتَتَّخِذُونَ مِنْ أَصْوَابِ الضَّأْنِ وَأَوْبَارِ الْإِبِلِ وَأَشْعَارِ الْمَعَزِ أَثَانًا لِبُيُوتِكُمْ مِنَ الْفُرُشِ وَالْأَكْسِيَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبِلَاغًا تَتَمَتَّعُونَ بِهِ إِلَى حِينِ الْمَوْتِ.

اسْتُدِلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى طَهَارَةِ جُلُودِ الْأَنْعَامِ الَّتِي حَلَّ أَكْلُهَا، وَطَهَارَةِ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا إِذَا جُرَّ فِي الْحَيَاةِ، وَكَذَلِكَ جِلْدُ الْمَيْتَةِ مِنَ الْأَنْعَامِ إِذَا دُبِغَ.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ ظِلَالِ الْأَبْنِيَّةِ وَالْجُدْرَانِ وَالْأَشْجَارِ مَا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِدَارِ مَا تَسْتَكِينُونَ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، كَالْأَسْرَابِ وَالْمَغَارَاتِ وَالْكُهُوفِ وَنَحْوِهَا، وَجَعَلَ لَكُمْ قُمْصًا وَثِيَابًا مِنَ الْقُطْنِ وَالصُّوفِ وَالْكَتَّانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، تَمْنَعُكُمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَدُرُوعًا تَقِيكُمْ فِي الْحَرْبِ بَأْسَ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، وَلَا تَصِلُ السُّيُوفُ وَالرِّمَاحُ إِلَى جَسَدٍ مَنْ يُضْرَبُ بِشَيْءٍ مِنْهَا.

كَذَلِكَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِيَمَا مَضَى، سَيِّئٌ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ؛ فَيَمَكِّنُكُمْ مِنْ صُنْعِ أَشْيَاءٍ لَا حَصْرَ لَهَا فِي الْعُصُورِ الْقَادِمَةِ بَعْدَ عَصْرِ التَّنْزِيلِ، مِمَّا تَوْصَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ صِنَاعَاتٍ مُذْهِلَةٍ بِالْهَامِ اللَّهُ لَهُمْ؛ رَغْبَةً فِي أَنْ تُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِي كِتَابِهِ، وَفِي أَنْ تُسَلِّمُوا مُنْقَادِينَ لَهُ فِي شَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ. (*)

وَأَمَرَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بِأَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِمَطَالِبِ دُنْيَاهُ بِالْعَمَلِ وَالْجِدِّ، أَوْ مَطَالِبِ آخِرَتِهِ بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧-٨].

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ عَمَلٍ نَافِعٍ مُفِيدٍ يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ؛ فَاجْتَهِدْ فِي عَمَلٍ نَافِعٍ جَدِيدٍ، وَاتَّعِبْ نَفْسَكَ فِيهِ، وَلَا تُخَلِّ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِكَ فَارْغَا، وَلَا تَرَكْنِ إِلَى الرَّاحَةِ وَالِدَّعَةِ، وَإِلَى رَبِّكَ وَحْدَهُ فَتَضَرَّعْ، وَاجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ مَطَالِبِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، وَتَرَفَّعْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى إِجَابَتِكَ وَإِسْعَافِكَ. (* / ٢).

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي النَّظَرِ فِي الْأَفَاقِ وَفِي الْأَنْفُسِ وَفِيمَا بَثَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي تَضَاعِيفِ هَذَا الْكُونِ مِنَ الْآيَاتِ؛ لِكَيْ نَضَعَ أَيْدِينَا عَلَى الْأَسْرَارِ الَّتِي تَرْتَقِي بِهَا الْحَيَاةُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النحل: ٨٠ - ٨١].

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الشرح: ٧-٨].

فَجَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ مَا يُؤَدِّي إِلَى تَرْقِيَةِ الْإِنْسَانِ فِيَمَا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ،
جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِبَادَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ هُوَ دِينُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي أَكْمَلَهُ وَرَضِيَهُ لِخَلْقِهِ فِي
أَرْضِهِ، وَهُوَ يَحْمِلُ فِي آيَاتِهِ وَتَضَاعِيفِهِ الْبَرَاهِينَ الدَّالَّةَ عَلَى صِدْقِ مَنْ أَتَى بِهِ مِنْ
لَدُنْ رَبِّهِ.

دِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَحُضُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّرَقِّي فِي الْعُلُومِ، وَفِي النَّظَرِ
فِي آفَاقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَعَلَى النَّظَرِ فِي الْأَنْفُسِ، بَلْ وَعَلَى النَّظَرِ فِيَمَا
تَحْتَ الثَّرَى، وَهُوَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مَنْ وَصَلَ مِنْ نَظَرُوا فِي أَمْثَالِ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي
حَدَّدَهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ مَا تَحْتَ الثَّرَى، فَاسْتَخْرَجُوا الْمَعَادِنَ، وَاسْتَخْرَجُوا
تِلْكَ الْمَادَّةَ الَّتِي صَارَتْ طَاقَةً لَا يَسْتَعْنِي عَنْهَا الْعَالَمُ الْيَوْمَ.

وَكُلُّ ذَلِكَ أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ إِشَارَةً مُجْمَلَةً ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: ٦٦].

فَالْمُسْلِمُونَ لَمَّا أَخَذُوا بِتَعَالِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَقَدَّمُوا حَتَّى مَلَكَوا الْعَالَمَ
الْقَدِيمَ كُلَّهُ.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ
الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ
لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

أَخْبَرَ - تَعَالَى - أَنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ لِهِدَايَةِ الْخَلْقِ، وَأَيَّدَهُمُ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ
الْمُبَيِّنَةِ لِلْحَقَائِقِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ وَحَقِيقَةِ مَا جَاؤُوا بِهِ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ

الَّذِي فِيهِ الْهُدَى وَالرَّحْمَةُ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمْ أَيْضًا الْمِيزَانَ الَّذِي هُوَ الْعَدْلُ وَمَا يُعْرَفُ بِهِ الْعَدْلُ مِنْ أَصُولِ الْعَدْلِ وَفُرُوعِهِ، وَذَلِكَ لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ إِذَا عَمَلُوا بِهَا فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ وَجَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

فَمَتَى عَمَلُوا بِمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْمِيزَانَ صَلَحَتْ مِنْهُمْ هَذِهِ الْأُمُورُ وَاسْتَقَامَتْ أحوَالُهُمْ.

وَأَخْبَرَ -تَعَالَى- أَنَّهُ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ، فَخَصَّ مَنَافِعَهُ فِي أُمُورِ الْحَرْبِ، ثُمَّ عَمَّمَهَا فِي سَائِرِ الْأُمُورِ، فَالْحَدِيدُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِهَذِهِ الْمَنَافِعِ الضَّرُورِيَّةِ وَالْكَمَالِيَّةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ.

فَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ إِلَّا النَّادِرَ مِنْهَا تَحْتَاجُ إِلَى الْحَدِيدِ، وَقَدْ سَاقَهَا اللَّهُ فِي سِيَاقِ الْإِمْتِنَانِ عَلَى الْعِبَادِ بِهَا، وَمُقْتَضَى ذَلِكَ؛ الْأَمْرُ بِاسْتِخْرَاجِ هَذِهِ الْمَنَافِعِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَعَلُّمَ الْفُنُونِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ وَصِنَاعَةَ الْأَسْلِحَةِ وَتَوَابِعِهَا، وَالْمَرَكَبِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْبَرِّيَّةِ وَالْهَوَائِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعِبَادُ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

«هَذَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ يَحْتَاجُ عَلَى الرَّقِيِّ الصَّحِيحِ وَالْقُوَّةِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ». (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ «شَرْحِ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنْ الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ الْعَصْرِيَّةِ دَاخِلَةٌ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى - السَّبْتُ ١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤ هـ | ١٩-١٠-٢٠١٣ م.

عِبَادَ اللَّهِ! لَيْسَ الْإِسْلَامُ دِينَ بَطَالَةٍ أَوْ تَوَاكُلٍ، أَوْ سُؤَالٍ وَكَسَلٍ وَخُمُولٍ، وَإِنَّمَا هُوَ دِينٌ يُحَفِّزُ أَتْبَاعَهُ عَلَى الْعَمَلِ وَيَحْتُّ عَلَيْهِ، وَيَمُقِّتُ الْإِعْتِمَادَ عَلَى الْآخِرِينَ؛ فَهُوَ يُشَخِّصُ الدَّاءَ وَيَضَعُ الدَّوَاءَ، وَيَتَبَيَّنُ مَدَى حِرْصِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْكَسْبِ الْمَشْرُوعِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ^(١)؛ فَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْعَمَلِ وَإِعْمَارِ الْأَرْضِ إِلَى آخِرِ حَظِيَّةٍ فِي الْحَيَاةِ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا تَقَوْمَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»^(٢).
وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ.

و«فَسِيلَةٌ»: هِيَ النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ.

هَذَا فِيهِ مُبَالَغَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى غَرْسِ الْأَشْجَارِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ؛ لِتَبْقَى هَذِهِ الدَّارُ عَامِرَةً إِلَى آخِرِ أَمْدِهَا الْمَحْدُودِ الْمَعْلُومِ عِنْدَ خَالِقِهَا، فَكَمَا غَرَسَ لَكَ غَيْرَكَ؛ فَانْتَفَعْتَ بِهِ، فَاعْرِسْ أَنْتَ لِمَنْ يَجِيءُ بِعَدِكَ؛ لِيَنْتَفِعَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا صُبَابَةٌ، وَذَلِكَ بِهَذَا الْقَصْدِ لَا يُنَافِي الزُّهْدَ وَالتَّقَلُّلَ مِنَ الدُّنْيَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ أَحَادِيثَ فِي اسْتِثْمَارِ الْأَرْضِ وَزَرْعِهَا، وَالْحَثِّ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا أَدَلَّ عَلَى الْحُضِّ عَلَى الْإِسْتِثْمَارِ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْكَرِيمَةِ، كَمَا

(١) بتصرف يسير من مقال بعنوان: «الترغيب في طلب الحلال».

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ (٢١٨١)، وَأَحْمَدُ (١٢٩٠٢) (١٢٩٨١)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ

(١٢١٦)، وَالْبَزَّازُ (٧٤٠٨)، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْخَلَّالِ فِي «الْحَثِّ عَلَى التَّجَارَةِ» (٧٤)،

وَأَبْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي «الْمُعْجَمِ» (١٧٩)، وَأَبْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٦/٧٥) (١٢٠٨)،

مِنْ طَرِيقِ: هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ.

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٩).

فِي الْحَدِيثِ الَّذِي مَعَنَا؛ فَإِنَّ فِيهِ تَرْغِيبًا عَظِيمًا عَلَى اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيَجْرِي لَهُ أَجْرُهُ، وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَوْلُهُ: «فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»: وَهَذَا - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ - يَتَطَلَّبُ زَمَانًا مَمْدُودًا؛ لِكَيْ يَتَحَصَّلَ الْمَرْءُ عَلَى نَتِيجَتِهِ وَعَائِدِهِ؛ لِأَنَّ النَّخْلَةَ يَسْتَمِرُّ نُمُوهَا حَتَّى إِثْمَارِهَا سَنَوَاتٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا».

مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا يَقِينًا حِينَئِذٍ، وَلَكِنَّهُ ﷺ يَحْتُّ عَلَى غَرْسِ الْأَشْجَارِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ، وَعَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ النَّافِعِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَإِنْ ظَهَرَتْ نَتَائِجُهُ وَعَوَاقِبُهُ عَلَى الْمَدَى الْبَعِيدِ، وَكَانَتْ نَتَائِجُهُ وَثِمَارُهُ بَطِيئَةً جَدًّا.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: التَّرغِيبُ الْعَظِيمُ فِي اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيَجْرِي لَهُ أَجْرُهُ وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْحَثُّ عَلَى الطَّاعَةِ إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ. (*)

وَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْعَمَلِ، وَبَيَّنَّ ﷺ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ عَلَى نَفَقَةِ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ؛ فَعَنِ الْمَقْدَامِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (حَدِيث: ٤٧٩، ص: ٢١٢٥ -

صَدَقَهُ، وَمَا أَطْعَمَتْ وَلَدَكَ وَزَوْجَتَكَ وَخَادِمَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ»، وَأَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

هَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ فِضَائِلِ الْإِسْلَامِ وَمَحَاسِنِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا تَنْتَفِعُ بِهِ؛ يَكُونُ لَكَ فِيهِ صَدَقَةٌ، وَهَكَذَا مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَى مَنْ تَحْتَ يَدِكَ مِنْ زَوْجَةٍ، وَابْنٍ، وَخَادِمٍ وَمَمْلُوكٍ لَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى النِّيَّةِ.

إِنَّ مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - وَعَلَى أَهْلِكَ، وَعَلَى مَمْلُوكِكَ، وَعَلَى الْأَجِيرِ الْخَادِمِ، وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ صَدَقَةٌ، كُلُّ مَا أَنْفَقْتَهُ فَلَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ.

وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ وَفِضَائِلِهِ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَيَحْتَاجُ هَذَا إِلَى النِّيَّةِ، أَيُّ: أَنْ تَنْوِيَهُ نِيَّةً عَامَةً فِي كُلِّ مَا أَنْفَقْتَ مِنْ مَالِكَ فِي وُجُوهِ الْحَلَالِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ: الْمَطْعَمُ وَالْمَشْرَبُ، وَالْمَسْكَنُ وَالْمَرْكَبُ تَحْتَسِبُهُ فَلَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ جَارِيَةٌ.

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٤ / ١٣١ - ١٣٢، رَقْم ١٧١٧٩، ١٧١٩١)، وَالْبُخَارِيُّ

فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (٨٢، ١٩٥)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (٨ / رَقْم ٩١٤١، وَ ٩١٦٠).

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَيْضًا ابْنُ مَاجَهَ (٢١٣٨)، بِلَفْظٍ: «مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ

عَمَلِ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ، فَهُوَ صَدَقَةٌ».

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٤٥٢).

وَهَكَذَا إِذَا قَدَّمْتَ إِحْسَانًا تَحْتَسِبُ فِيهِ الْأَجْرَ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا أَجْرَ إِلَّا عَنِ حِسْبَةٍ» (١) - صَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» -؛ أَي: لِمَنْ يَحْتَسِبُ، وَهُوَ بِمَعْنَى حَدِيثِ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (٢)؛ أَي: تَنْوِي إِذَا قَدَّمَ لَكَ الطَّعَامَ مِنْ حَلَالٍ أَنْ تَنْوِي فِي هَذَا الطَّعَامِ أَنَّكَ تُحْسِنُ بِهِ إِلَى نَفْسِكَ، وَتَتَقَوَّى بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَقَضَاءِ حَاجَاتِكَ الْمُبَاحَةِ وَالشَّرْعِيَّةِ؛ فَيَكُونُ لَكَ فِي هَذَا الطَّعَامِ أَجْرٌ.

وَهَذَا تَكْرُمٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ وَإِحْسَانٌ وَإِفْضَالٌ، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ أَكَلَ مِنْ مَائِدَتِكَ، وَكُلُّ مَنْ شَرِبَ مِمَّا كَسَبْتَ يَدُكَ لَكَ فِيهِ أَجْرٌ.

وَهَذَا جَاءَ مُوَضَّحًا فِي الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَذَا الْمُسْلِمِ الضَّعِيفِ، وَأَنَّ هَذَا الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ ذَكَرًا كَانَ أَوْ

(١) أَخْرَجَهُ الدِّيْلَمِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (٤ / ٢٠٦) كَمَا فِي «الصَّحِيحَةِ» لِلْأَلْبَانِيِّ، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَوَى نَحْوَهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِلَفْظِ: «...، لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ»، أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْكَبْرِيِّ» (١ / ١٧٩)، وَالْخَطِيبُ فِي «الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّاوي» (رَقْم ٦٨٦)، بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ، وَرَوَى مَرْسَلًا عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّامِيِّ، بِلَفْظِ: «لَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ»، أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزَّهْدِ» (رَقْم ١٥٢)، بِإِسْنَادٍ لَا بِأَسْبَاطٍ بِهِ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ بِشَوَاهِدِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٤١٥).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ١، ٥٤) وَمَوَاضِعُ، وَمُسْلِمٌ (١٩٠٧)، مِنْ حَدِيثِ: عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِتْقَانُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرْفِ وَالْمَهَنِ سَبِيلُ الْأَمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ

أَنْثَى لَا يَضِيعُ مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ أَبَدًا، حَتَّى هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ وَيَحْفَظُ صِحَّتَهُ وَبَيْتَهُ، وَيَحْفَظُ وَلَدَهُ لَهُ فِيهِ الْأُجُورُ الْمُضَاعَفَةُ؛ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ. (*)

وَمِنْ دَلَائِلِ حَثِّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْعَمَلِ مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ اللَّهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بَطَانًا».

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَاعِدَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ فِي أَصْلِ هَذَا الدِّينِ:

* الْأُولَى: هِيَ قَاعِدَةُ التَّوَكُّلِ.

* وَالثَّانِيَةُ: قَاعِدَةُ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

وَالْحَدِيثُ يُفْهَمُ فَهَمًّا مَضْبُوطًا، وَلَا عُدْرَ لِأَحَدٍ فِي فَهْمِهِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الْمَغْلُوطِ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ بِنَفْسِهِ فِيهِ الدَّلَالَةُ عَلَى وُجُوبِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، فَإِنَّ الطَّيْرَ فِي الْوُكُنَاتِ وَفِي الْأَعْشَاشِ لَا تَبْقَى فِي أَعْشَاشِهَا، وَإِنَّمَا تُبَكِّرُ فِي الذَّهَابِ لِإِلْتِقَاطِ رِزْقِهَا.

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ اللَّهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو...»: وَالْعُدُوُّ: هُوَ الْخُرُوجُ فِي بُكْرَةِ النَّهَارِ، فَتَغْدُو هَذِهِ الطُّيُورُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» [ص: ٩١٨-٩٢١].

مِنْ أَعْشَاشِهَا وَوُكُنَاتِهَا مِنْ أَجْلِ التَّقَاطُ رِزْقِهَا، مُبَكَّرَةً مَعَ خِيُوطِ الْفَجْرِ الْأَوَّلِ، سَاعِيَةً فِي أَرْضِ اللَّهِ، لَكِنَّهَا لَا تَحْمِلُ لِرِزْقِهَا هَمًّا، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَرْزُقُهَا كَمَا رَزَقَهَا الْحَيَاةَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْيَا أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ رِزْقٍ.

وَالْحَيَاةَ وَالْأَجَلَ يَرْتَبِطَانِ بِالرِّزْقِ ارْتِبَاطًا مُبَاشِرًا، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يَحْيَا كَائِنٌ حَيًّا بِغَيْرِ رِزْقٍ، يَقُولُ النَّاسُ: «فُلَانٌ حَيٌّ يَرْزُقُ»، وَلَكِنْ تَجَدُّ أَبَدًا أَنْ فُلَانًا حَيٌّ لَا يَرْزُقُ، فَارْتِبَاطُ الْأَجَلِ بِالرِّزْقِ أَمْرٌ حَتْمِيٌّ بِصَيْرُورَةٍ تَمْضِي إِلَى الْمَوْتِ، وَحِينَئِذٍ لَا أَجَلَ وَلَا رِزْقٍ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الطُّيُورَ تَعْدُو مُبَكَّرَةً مِنْ أَعْشَاشِهَا، تَطْلُبُ رِزْقَهَا، تَلْتَقِطُهُ فِي جَنَابَاتِ الْأَرْضِ، لَا تَحْمِلُ لَهُ هَمًّا، «خِمَاصًا»: جَمْعُ أَخْمَصٍ، وَهَذِهِ الْحَوَاصِلُ الْخُمْصُ قَدْ التَّرَقَّتْ لِحُومِهَا بِبَعْضِهَا، بِحَيْثُ إِنَّهَا لَا تَحْوِي شَيْئًا، «تَعْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بَطَانًا»: وَقَدْ امْتَلَأَتْ بُطُونُهَا وَحَوَاصِلُهَا، مِنْ أَيْنَ؟!!

مِنْ رِزْقِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

هَلْ قَدَّرْتَ لِذَلِكَ تَقْدِيرًا؟!!

هَلْ وَضَعْتَ لَهُ حُطَّةً لِلْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ اكْتِسَابِهِ؟!!

إِنَّمَا أَخَذَتْ بِالْأَسْبَابِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى رَبِّ الْأَسْبَابِ، بِحَيْثُ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَخْرُجُ مِنْ قَيْدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِيهِ مَدْخَلٌ، وَيَدْخُلُ فِي أَسْرِ الْعُبُودِيَّةِ، فَهَذَا هُوَ التَّوَكُّلُ، أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، لَا يَدَّعِي

رِزْقًا، وَلَا يَدَّعِي حَوْلًا وَلَا حِيلَةً؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُهُ وَهُوَ رَازِقُهُ، وَهُوَ مَالِكُ أَمْرِهِ، وَنَاصِيَتُهُ بِيَدِهِ.

وَهُوَ يَفْعَلُ بِهِ مَا يَشَاءُ عَلَى مُقْتَضَى حِكْمَتِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ فِيهِ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ فِيهِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ فَهَذَا مَوْكُولٌ إِلَى الْعَبْدِ، وَلَا يُعَوَّلُ الْمَرْءُ عَلَى السَّبَبِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَأْخُذُونَ كَثِيرًا بِالْأَسْبَابِ وَلَا يُحْصِلُونَ شَيْئًا مِنَ النَّتَائِجِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «قَضِيَّةُ الرِّزْقِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٨ هـ |

الْعَمَلُ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ

إِنَّ طَلَبَ الْمَعَايِشِ وَاكتِسَابَ الرِّزْقِ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْسُوكَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدًا مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ، وَيَمْسُوكَ فِي الْأَسْوَاقِ؛ طَلَبًا لِمَعَاشِهِمْ وَلَا كِتْسَابَ أَرْزَاقِهِمْ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ السَّابِقِينَ، وَمَا أَنَا إِلَّا رَسُولٌ، وَمَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ، وَهُمْ كَانُوا بَشَرًا مِثْلِي يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْسُوكَ فِي الْأَسْوَاقِ. (*)

وَحَكَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ قَوْلَ الْمُشْرِكِينَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ مُتَعَجِّبِينَ: أَيُّ شَيْءٍ اخْتَصَّ بِهِ مُحَمَّدٌ حَتَّى اسْتَطَاعَ بِسَبَبِهِ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا، وَالْحَالُ أَنَّهُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ كَمَا نَأْكُلُ نَحْنُ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ كَمَا نَمْشِي يَلْتَمِسُ الْمَعَايِشَ!! (*) (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الفرقان: ٢٠].

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الفرقان: ٧].

إِتْقَانُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرْفِ وَالْمَهَنِ سَبِيلُ الْأَمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ

«إِنَّ الْعَمَلَ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَهُوَ سُنَّةُ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ -، فَلَا اخْتِرَافُ وَالتَّكْسِبُ قَامَ بِهِ خَيْرُ الْخَلْقِ وَهُمْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ -، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِمْ أَصْحَابُ نَبِيِّنَا ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

وَقَدْ تَكَثَّرَتِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي بَيَانِ ذَلِكَ؛ قَالَ - تَعَالَى - عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلَّمْنَاهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

وَعَنِ الْمِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»^(١) - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ».

وَتَبَّتْ فِي الْحَدِيثِ - كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ^(٢) - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ زَكَرِيَّا كَانَ نَجَّارًا».

وَعَمِلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجِيرًا عَشْرَ سِنِينَ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - حِكَايَةً عَنِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيِّتُ فَلَا عُدُونَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٧-٢٨].

(١) «الصحيح»: (٤ / ٣٠٣، رقم ٢٠٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (٤ / ١٨٤٧، رقم ٢٣٧٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ تَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَالِ خَدِيجَةَ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ -
وَسُئِلَ ﷺ: أَكُنْتَ تَرَعَى الْغَنَمَ؟

قَالَ: «وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١).

وَأَمَّا مَا وَرَدَ عَنْ عَمَلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ
أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَمَّالٌ أَنْفُسِهِمْ، فَكَانَ يَكُونُ لَهُمْ أَرْوَاحٌ، فَقِيلَ لَهُمْ: لَوْ
اغْتَسَلْتُمْ». هَذَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٢).

وَمَعْنَى «أَرْوَاحٌ»؛ أَي: لَهُمْ رَوَائِحٌ؛ بِسَبَبِ عَمَلِهِمْ وَعَرَقِهِمْ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَدْ عَلِمَ
قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَوْوَنَةِ أَهْلِي، وَشَغَلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ،
فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَأَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ». هَذَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ
فِي «الصَّحِيحِ» (٣).

وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ صَاحِبَ حِرْفَةٍ يَكْتَسِبُ مِنْهَا، فَلَمَّا
وُلِّيَ الْخِلَافَةَ شُغِلَ عَنْ حِرْفَتِهِ لِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَفَرَضَ لَهُ حَاجَتَهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ
الْمُسْلِمِينَ، يَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ وَآلُهُ.

(١) «صحيح البخاري»: (٦ / ٤٣٨، رقم ٣٤٠٦)، و«صحيح مسلم»: (٣ / ١٦٢١، رقم

٢٠٥٠)، من حديث: جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «صحيح البخاري»: (٤ / ٣٠٣، رقم ٢٠٧١)، و«صحيح مسلم»: (٢ / ٥٨١، رقم

٨٤٧).

(٣) «الصحيح» للبخاري: (٤ / ٣٠٣، رقم ٢٠٧٠).

وَقَوْلُهُ: «وَأَحْتَرَفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ»؛ أَي: أَنْظَرُ فِي أُمُورِهِمْ وَتَمَيِّزُ مَكَاسِبِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه: «أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَلَمْ يُؤْذَنَ لَهُ - وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه كَانَ مَشْغُولًا -، فَرَجَعَ أَبُو مُوسَى...» الْحَدِيثِ، وَهُوَ مَعْلُومٌ فِي سُنَّةِ الْإِسْتِئْذَانِ، وَفِيهِ قَالَ عُمَرُ: «أَخْفِي عَلَيَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه!!»؛ يَتَعَجَّبُ مِنْ حَالِهِ.

ثُمَّ قَالَ: «الْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ»؛ يَعْنِي: الْخُرُوجُ إِلَى التِّجَارَةِ.

الْحَدِيثُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ أَيْضًا^(١).

فَعُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ إِنَّهُ كَانَ يَتَاجَرُ، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى الْأَسْوَاقِ، فَلَمَّا فَاتَتْهُ هَذِهِ السُّنَّةُ مِنْ سُنَنِ الْإِسْتِئْذَانِ صَارَ يَتَعَجَّبُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ، قَالَ: «أَخْفِي عَلَيَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه!! الْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ».

وَعَنْ أَبِي الْمِنْهَالِ قَالَ: «سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ رضي الله عنهما عَنِ الصَّرْفِ».

فَقَالَا: «كُنَّا تَاجِرِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه فَسَأَلْنَاهُ عَنِ الصَّرْفِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ يَدًا بِيَدٍ فَلَا بَأْسَ^(٢)، وَإِنْ كَانَ نَسِيئًا فَلَا يَصْلُحُ^(٣)».

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: (٤/ ٢٩٨، رقم ٢٠٦٢)، ومسلم في «الصحیح»:

(٣/ ١٦٩٥ - ١٦٩٦، رقم ٢١٥٣).

(٢) «يداً بيداً»: يقبض كل من المتعاقدين البدل من الآخر في المجلس.

(٣) «نسيئاً»: بكسر السين ثم مشاة تحتية ساكنة مهموزاً؛ أي: متأخراً، وفي رواية: «نساءً» =

هَذَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١).

وَالصَّرْفُ: مُبَادَلَةُ النَّقْدِ بِالنَّقْدِ، يُعْرَفُ الْآنَ بِبَيْعِ الْعُمْلَةِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ...».

قَالَ مُعَلَّلًا: «وَإِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَانِي مِنَ الْأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ أَمْرًا مَسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ أَعْيَى حِينَ يَنْسُونَ، وَقَدْ قَالَ نَبِيْنَا ﷺ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ: «إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثُوبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعُ إِلَيْهِ ثُوبَهُ إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ»، فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ، حَتَّى إِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُهَا إِلَيَّ صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ».

هَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٢).

بفتح النون والسين المهملة ممدودًا.

(١) «صحيح البخاري»: (٤ / ٢٩٧، رقم ٢٠٦٠)، واللفظ له، و«صحيح مسلم»: (٣ / ١٢١٢، رقم ١٥٨٩).

(٢) «صحيح البخاري»: (٤ / ٢٨٧ - ٢٨٨، رقم ٢٠٤٧)، و«صحيح مسلم»: (٤ / ١٩٣٩، رقم ٢٤٩٢).

وَفِيهِ: أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَأَنَّ الْأَنْصَارَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلٌ فِي أَمْوَالِهِمْ، فِي زُرُوعِهِمْ وَفِي بَسَاتِينِهِمْ.

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنَى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأَزْوَجُكَ.

قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُونِي عَلَى السُّوقِ.. فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقْطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...».

وَعَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ قَالَ: «كُنْتُ قَيْنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَنْقَاضَهُ، قَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ. فَقُلْتُ: لَا أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ ثُمَّ تَبَعْتُ.

قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ فَسَأُوتِي مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ!!

فَنَزَلَتْ: ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَوْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٧-٧٨]. هَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢).

(١) «صحيح البخاري»: (٤ / ٢٨٨، رقم ٢٠٤٨ و٢٠٤٩)، و«صحيح مسلم»: (٢ / ١٠٤٢، رقم ١٤٢٧).

(٢) «صحيح البخاري»: (٤ / ٣١٧، رقم ٢٠٩١)، و«صحيح مسلم»: (٤ / ٢١٥٣، رقم ٢٧٩٥).

وَالْقَيْنُ»: الْحَدَّادُ؛ فَكَانَ يَعْمَلُ بِهَذِهِ الْحِرْفَةِ، وَكَانَ يَتَّخِذُ هَذَا الْعَمَلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَتْ زَيْنَبُ -تَعْنِي بِنْتَ جَحْشٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ عَائِشَةَ وَعَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ- امْرَأَةً صَنَاعَ الْيَدِ^(١)؛ فَكَانَتْ تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ^(٢) وَتَتَصَدَّقُ بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٣)».

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى عَمَلِهِمْ -رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُمْ- ^(٤). (*).



(١) «صَنَاعَ الْيَدِ» بفتح الصاد، ويجوز كسرهما؛ أي: حاذقةٌ ماهرةٌ بعمَلِ الْيَدِ.

(٢) «تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ»؛ أي: تعمل في دباغة الجلود وخباطتها.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٣/٢٨٥-٢٨٦، رقم ١٤٢٠)، ومسلم في «الصحيح»: (٤/١٩٠٧، رقم ٢٤٥٢) مختصراً.

وأخرجه -أيضاً- الحاكم في «المستدرک»: (٤/٢٥، رقم ٦٧٧٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ»، واللفظ له.

(٤) «تمام المنة»: (٣/٢٨٠-٢٨٣).

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاصِرَةِ: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ» - الْأَرْبَعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١ هـ |

مِنْ فِضَائِلِ الْعَمَلِ وَفَوَائِدِهِ

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ كَيْ يُجَنَّبَ اتِّبَاعَهُ مَخَاطِرَ الْحَرَامِ وَعَوَاقِبُهُ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْمَهَالِكِ؛ شَرَعَ لَهُمْ مِنْ طُرُقِ الْكَسْبِ الْحَلَالِ مَا يَقِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيَحْفَظُ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَحَيَاتَهُمْ مِنَ الْفَسَادِ، وَذَلِكَ بِبَذْلِ الْجُهْدِ فِي الْعَمَلِ وَالتَّكْسُّبِ مِنَ الطُّرُقِ الْمَشْرُوعَةِ، وَالْأَخْذِ بِالْأَسَالِبِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَيْهَا^(١).

وَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى فَضْلِ الْاِكْتِسَابِ؛ «فِي الْاِكْتِسَابِ وَالْعَمَلِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ»^(*):

* مِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ الْاِكْتِسَابَ لِطَلَبِ الْمَعَاشِ؛ لِيَسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، فَجَعَلَ الْاِكْتِسَابَ سَبَبًا لِلْعِبَادَةِ.

* فِي الْعَمَلِ: مَعْنَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

* وَفِيهِ: طَلَبُ الْفَضْلِ مِنْهُ؛ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

(١) من مقال بعنوان: «الترغيب في طلب الحلال».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١ هـ |

* وَأَيْضًا، يُسْتَعَانُ بِالِاِكْتِسَابِ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

* وَبِالِاِكْتِسَابِ يَتَعَفَّفُ الْإِنْسَانُ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ». وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١).

* وَفِي الْاِكْتِسَابِ: الْإِنْشِغَالُ عَنِ الْبَطَالَةِ وَاللَّهُوِ، قَالَ الْحَافِظُ رحمته الله (٢): «وَمِنْ فَضْلِ الْعَمَلِ بِالْيَدِ الشُّغْلُ بِالْأَمْرِ الْمُبَاحِ عَنِ الْبَطَالَةِ وَاللَّهُوِ، وَفِيهِ كَسْرُ النَّفْسِ بِذَلِكَ».

* وَمِنْ فَضَائِلِ الْاِكْتِسَابِ: أَنْ فِي الْعَمَلِ قُوَّةٌ لِلْأُمَّةِ لِكَثْرَةِ اِنْتِاجِهَا، وَإِغْنَاءِ أَفْرَادِهَا؛ فَيَعُودُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِالِاسْتِقْرَارِ النَّفْسِيِّ، وَالرَّعَايَةِ الصَّحِيَّةِ، وَاسْتِغْنَائِهَا عَنْ أَعْدَائِهَا، وَالْمَهَابَةِ لَهَا فِي أَعْيُنِهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحِكَمِ وَالْفَوَائِدِ الَّتِي تَعُودُ عَلَى الْأُمَّةِ (٣). (*)



(١) «صحيح البخاري»: (٣ / ٣٣٥، رقم ١٤٧٠)، و«صحيح مسلم»: (٢ / ٧٢١، رقم ١٠٢٤).

(٢) «فتح الباري» لابن حجر: (٤ / ٣٠٤).

(٣) «تمام المنة»: (٣ / ٢٧٩-٢٨٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبَعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١ هـ |

عِنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِالْحِرْفِ وَالْمِهْنِ

إِنَّ النَّظْرَةَ إِلَى الْمِهْنِ الْمُخْتَلِفَةِ وَتَقْسِيمَهَا بِحَسَبِ الْمُرْتَبَةِ إِلَى شَرِيفَةٍ وَوَضِيعَةٍ أَمْرٌ لَا يَعْرِفُهُ الْإِسْلَامُ؛ إِذِ الْإِسْلَامُ يَرَى أَنَّ الشَّرْفَ وَالْحِسَّةَ فِي مَجَالِ الْمِهْنَةِ مَدَارُهُ فِي وُجُودِ الْعَمَلِ وَعَدَمِهِ.

فَالْعَمَلُ -أَيَّا كَانَ نَوْعُهُ مَعَ اسْتِصْحَابِ مَشْرُوعِيَّتِهِ وَالْإِتِّزَامِ بِأَخْلَاقِيَّاتِهِ وَإِتْقَانِهِ وَالنُّبُوغِ فِيهِ- هُوَ قِمَّةُ الشَّرْفِ وَالْعِظَمَةِ فِي شَرْعِهِ وَمَقَرَّرَاتِهِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْأَمْرُ بِالسَّعْيِ وَاحْتِرَافِ الْمِهْنَةِ دُونَ تَحْدِيدِ لِمِهْنَةٍ بَعَيْنِهَا؛ لِأَنَّ الْمِهْنَةَ الْمُخْتَلِفَةَ فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ سَوَاءٌ، غَايَةٌ مَا هُنَاكَ أَنْ يُلْتَزِمَ الْإِنْسَانُ بِمَشْرُوعِيَّتِهَا، وَالْقِيَامُ بِحُقُوقِهَا وَالْإِتِّزَامُ بِأَخْلَاقِهَا وَأَدَابِهَا^(١).

وَالْمُتَأَمَّلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدُ أَنَّهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِهِ يَدْعُو إِلَى إِتْقَانِ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الْمَشْرُوعَةِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ تَتَقَدَّمْ أُمَّةٌ إِلَّا بِتَفَانِيهَا فِي صِنَاعَاتِهَا وَحِرْفِهَا وَمِهْنِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، وَقَدْ أَسَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى صِنَاعَةِ الْحَدِيدِ؛ حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ بَصُرِهِ، وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. (*)

(١) مختصر من مقال بعنوان: «نظرة الإسلام إلى العمل والمهنة».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ «شَرْحِ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنْ الْعُلُومَ وَالْأَعْمَالَ النَّافِعَةَ الْعَصْرِيَّةَ دَاخِلَةٌ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى - السَّبْتُ

١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤ هـ / ١٩-١٠-٢٠١٣ م.

كَمَا أَشَارَ الْقُرْآنُ إِلَى صِنَاعَةِ الْمَلَابِسِ وَالْأَثَاتِ وَالْجُلُودِ؛ فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينَ ۝٨٠﴾^(٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ عَلَيْهِمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ ﴿ [النحل: ٨٠-٨١]. (*)

كَمَا أَنَّ هَذِهِ الصَّنَاعَاتِ وَالْحِرْفَ مِهْنَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ فَقَدْ كَانُوا فِيهَا خَيْرَ أَنْمُودَجٍ لِلِإِجَادَةِ وَالِإِتْقَانِ، وَقَدْ جَاءَتْ آيَاتُ فِي الْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي عَدَدٍ مِنَ الْحِرْفِ وَالصَّنَاعَاتِ الْيَدَوِيَّةِ؛ فَقَدْ قَالَ -تَعَالَى- لِنُوحٍ عليه السلام: ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا﴾ [هود: ٣٧].

وَأَصْنَعِ السَّفِينَةَ بِمَرَأَى مِنَّا مَحْفُوظًا بِكَلَاءَتِنَا وَعِنَايَتِنَا، وَبِوَحِينَا فِي خُطَّةِ الْعَمَلِ، وَبِنَاءِ السَّفِينَةِ، وَطَرِيقَةِ التَّنْفِيزِ. (*) (٢).

وَتَبَّتْ فِي الْحَدِيثِ -كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ- عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ زَكَرِيَّا كَانَ نَجَّارًا» (٣). (*) (٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النحل: ٨٠-٨١].

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [هود: ٣٧].
(٣) تقدم تخريجه.

(*) (٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ» - الْأَرْبَعَاءُ ٢ مِنْ شُعْبَانَ ١٤٣١هـ | ١٤-٧-٢٠١٠م.

إِتْقَانُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرْفِ وَالْمَهَنِ سَبِيلُ الْأَمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَى- عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۙ أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠-١١].

﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ فَكَانَ فِي يَدِهِ كَالْعَجِينِ يَعْمَلُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا ضَرْبِ مِطْرَقَةٍ.

وَأَمْرُنَاهُ أَنْ أَعْمَلَ يَا دَاوُدَ ذُرُوعًا وَاسِعَاتٍ سَاتِرَاتٍ! (*).

وَقَدْ وَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ أَفْرَادَ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ لِأَنْ يَعْمَلُوا أَيَّ عَمَلٍ شَرِيفٍ مَهْمَا قَلَّ شَأْنُهُ، وَلَا يَتَكَفَّفُوا النَّاسَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ يَحْتَطَبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ». وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٢).

وَعَنِ الْمِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ» (٣)- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ». (* / ٢).



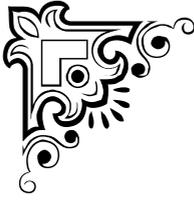
(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [سبأ: ١٠-١١].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ» - الْأَرْبَعَاءُ ٢ مِنْ شُعْبَانَ

١٤٣١هـ | ١٤-٧-٢٠١٠م.



إِتْقَانُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرْفِ وَالْمِهْنِ سَبِيلُ الْأُمَّمِ الْمُتَقَدِّمَةِ



أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّهُ لَا يَكْفِي الْفَرْدَ أَنْ يُؤَدِّي الْعَمَلَ صَاحِحًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ صِحَّتِهِ مُتَقَنًا؛ فَهَلْ يَبْعِي ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ وَيَسْعَوْنَ إِلَى جَعْلِهِ مِيزَةً لِشَخْصِيَّاتِهِمْ وَخُلُقًا يَتَّصِفُونَ بِهِ فِي حَيَاتِهِمْ، وَمَبْدَأً يَنْطَلِقُونَ مِنْهُ فِي مَوْسَسَاتِ الْعِلْمِ وَمِيَادِينِ الْعَمَلِ وَأَسْوَاقِ الصَّنَاعَةِ، لِيَصِلُوا بِهِ إِلَى الْإِنجَازِ وَيُحَقِّقُوا بِسَبَبِهِ النَّجَاحَ؟! (١).

إِنَّ إِتْقَانَ الْعَمَلِ وَالْتِمِيزَ فِيهِ وَالْقِيَامَ بِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ مِنْ أَهَمِّ الْقِيَمِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ وَحَثَّ عَلَيْهَا وَرَعَّبَ فِيهَا، وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- خَلَقَ هَذَا الْكَوْنَ بِإِتْقَانٍ وَإِبْدَاعٍ؛ لِيَسِيرَ النَّاسُ عَلَى هَذَا النَّهْجِ الْإِلَهِيِّ فِي أَعْمَالِهِمْ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

وَتَرَى الْجِبَالَ -أَيُّهَا الرَّائِي- تَطْنُهَا مُتَمَاسِكَةً لَا حَرَكَةَ لِذَرَاتِهَا وَلَا سِيرَ لَهَا فِي جُمَّلَتِهَا، وَهِيَ فِي وَقَعِ حَالِهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ الَّذِي تَتَحَرَّكُ ذَرَاتُهُ تَحَرُّكًا دَاخِلِيًّا، وَيَسِيرُ فِي جُمَّلَتِهِ مِنْ مَوْقِعٍ إِلَى مَوْقِعٍ فِي السَّمَاءِ، وَكَذَلِكَ حَالُ الْجِبَالِ وَسَائِرِ مَا فِي الْأَرْضِ؛ إِذْ ذَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ تَتَحَرَّكُ حَرَكَاتٍ فِي دَوَائِرٍ وَأَقْفَالٍ مُقْفَلَةٍ.

وَجُمَّلَةُ الْأَرْضِ مَعَ جِبَالِهَا تَمُرُّ سَائِرَةً فِي دَوْرَةٍ يَوْمِيَّةٍ حَوْلَ نَفْسِهَا وَفِي دَوْرَةٍ

(١) باختصار من: «إِتْقَانُ الْعَمَلِ».

سَنَوِيَّةٍ حَوْلَ الشَّمْسِ .

صَنَعَ اللَّهُ ذَلِكَ صُنْعًا الَّذِي أَحْكَمَ صُنْعَهُ، وَجَعَلَهُ مُطَابِقًا لِلْمَقْصُودِ مِنْهُ. (*)

وَدِينُنَا الْحَنِيفُ لَا يَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ مُجَرَّدَ الْعَمَلِ، إِنَّمَا يَطْلُبُ إِتْقَانَهُ وَإِحْسَانَهُ، يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» (٢). (*) (٢).

إِنَّ دِينَنَا دِينَ الْإِتْقَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَقَدْ عُنِيَ عِنَايَةً بِالْعَةِ بِذَلِكَ، سَوَاءً فِي مَجَالِ الصَّنَاعَةِ أَمْ فِي مَجَالِ الْحِرْفِ وَالْمِهَنِ، ذَلِكَ أَنَّ الْأَمَمَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَهْتَضَ أَوْ تَتَقَدَّمَ بِلَا إِتْقَانٍ، وَدَوْرُنَا أَنْ نَجْعَلَ الْإِتْقَانَ ثِقَافَةَ الْمُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ الْإِتْقَانُ هُوَ الْأَصْلُ فِي حَيَاتِنَا وَمَا عَدَاهُ هُوَ الشَّاذُّ الَّذِي لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ وَلَا يُمَكِّنُ الْقَبُولَ بِهِ.

إِنَّ الْمُسْلِمَ مُطَالِبٌ بِالْإِتْقَانِ فِي أَعْمَالِهِ التَّعْبُدِيَّةِ وَالْمَعَاشِيَّةِ؛ إِحْكَامًا وَإِكْمَالًا، تَجْوِيدًا وَإِحْسَانًا، وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى الْإِتْقَانِ فِي الْعِبَادَاتِ:

* الْإِتْقَانُ فِي الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَثَمَرَتُهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعًا -يَشْكُ سَهْلٌ- يُحْسِنُ فِيهِنَّ الذِّكْرَ وَالْخُشُوعَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ؛ غُفِرَ لَهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ (٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النمل: ٨٨].

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٩٥٥)، مِنْ حَدِيثِ: شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْأَضْحَى ١٤٣٧هـ: «فَوَائِدٌ مِنْ خُطْبَةِ الْوَدَاعِ» - الْإِثْنَيْنِ

١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ | ١٢-٩-٢٠١٦م.

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٦ / ٤٥٠، رَقْم ٢٧٥٤٦)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الْأَحَادِ

وَالْمَثَانِي»: (٤ / ٨٣، رَقْم ٢٠٤٠)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»: (٥ / ١٨٦، رَقْم ٥٠٢٦).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يَسْهُو فِيهِمَا؛ عُفِّرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١).

وَفِي رِوَايَةٍ (٢): «مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ يُقْبَلُ بِقَلْبِهِ وَبِوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا؛ إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه خُدَّامَ أَنْفُسِنَا، نَتَنَاوَبُ الرَّعَايَةَ -رِعَايَةَ إِبِلِنَا-، فَكَانَتْ عَلَيَّ رِعَايَةُ الْإِبِلِ، فَرَوَّحْتُهَا بِالْعَشِيِّ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه يَخْطُبُ النَّاسَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَرَكُعُ رَكَعَتَيْنِ يُقْبَلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ؛ إِلَّا قَدْ أُوجِبَ -أَيُّ: أَتَى بِمَا يُوجِبُ لَهُ الْجَنَّةَ-».

فَقُلْتُ: بَخٍ بَخٍ، مَا أَجُودَ هَذِهِ (٣)!!

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَالنِّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ، وَغَيْرُهُمْ.
وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ (٤)؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيَسْبِغُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ

والحديث صححه الألباني في «الصَّحِيحَةِ»: (٧ / ١١٧٧، رقم ٣٣٨٩).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: (١ / ٢٣٨، رقم ٩٠٥).

والحديث صححه الألباني في «الصَّحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»: (١ / ٢١٠، رقم ٢٢٨).

(٢) لِأَبِي دَاوُدَ أَيْضًا فِي «السُّنَنِ»: (رقم ٩٠٦).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (١ / ٢٠٩، رقم ٢٣٤)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: (١ /

٤٣، رقم ١٦٩)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٤) «المستدرک»: (٢ / ٣٩٩، رقم ٣٥٠٨).

إِتْقَانُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرْفِ وَالْمَهَنِ سَبِيلُ الْأَمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ

فِي صَلَاتِهِ، فَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ؛ إِلَّا انْفَتَلَ وَهُوَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. الْحَدِيثُ. وَقَالَ: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ».

وَفِي حَدِيثِ عَثْمَانَ رضي الله عنه عِنْدَ مُسْلِمٍ (١): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا؛ إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ».

وَفِي حَدِيثِ عُبَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لِحَقَّتْهُنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ» (٢). (*)

وَمِنَ الْأُمْتَلَةِ عَلَى الْإِتْقَانِ فِي الْأَعْمَالِ التَّعَبُّدِيَّةِ: الْإِتْقَانُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ فَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ هُوَ أَعْظَمُ قِيَمَةٍ قَطُّ لِمَنْ كَانَ لَهُ حَافِظًا، لِمَنْ كَانَ لَهُ حَامِلًا، لِمَنْ كَانَ لِأَدَائِهِ مُجِيدًا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلوات الله وسلامته عليه.

قَالَ الْحَاكِمُ: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»: (١ / ١٩٥، رَقْم ١٩٠).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (١ / ٢٠٦، رَقْم ٢٢٨).
(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: (١ / ١١٥، رَقْم ٤٢٥) وَ (٢ / ٦٢، رَقْم ١٤٢٠)،
وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَى»: (١ / ٢٣٠، رَقْم ٤٦١)، وَأَبْنُ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ»: (١ / ٤٤٩، رَقْم ١٤٠١).

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»: (١ / ٢٧١، رَقْم ٣٧٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْقُلُوبِ» - الْجُمُعَةُ: ٢٤ مِنْ رَجَبِ ١٤٣٨ هـ |

فَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ الَّتِي فِي «الصَّحِيحِ»^(١)، تَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ - الَّذِي يُجِيدُ تِلَاوَتَهُ لَا يَتَعَثَّرُ فِي تِلَاوَتِهِ وَلَا يَتَوَقَّفُ - مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ - يَعْنِي مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْمُطَهَّرِينَ الْمُبْرورِينَ الْأَبْرَارِ -، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ فَلَهُ أَجْرَانِ - أَجْرُ التَّلَاوَةِ وَأَجْرُ الْمَشَقَّةِ الَّتِي يُلَاقِيهَا -». (*).

وَأَمَّا إِتْقَانُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرْفِ وَالْمَهَنِ فَقَدْ حَثَّ عَلَيْهِ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا وَحَضَّ عَلَيْهِ نَبِيُّنَا ﷺ؛ فَالْعَمَلُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْإِنْسَانُ أَمَانَةً، وَاللَّهُ سَائِلُهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَمَرَ بِإِدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَرْبَابِهَا وَأَصْحَابِهَا، وَبَيَّنَّ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ عَرَضَ الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»^(٣).

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٧٩٨)، وأخرجه أيضا البخاري «صحيحه» (رقم ٤٩٣٧)، بلفظ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ».

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٦ / ٨٤): «الْمَاهِرُ: الْحَازِقُ الْكَامِلُ الْحِفْظِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ بِجَوْدَةٍ حَفِظَهُ وَإِتْقَانَهُ».

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «شَرَفَ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ ١» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٨ مِنْ جُمَادَى الثَّانِي

١٤٢٣ هـ / ٦-٩-٢٠٠٢ م.

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» في (البيوع، ٨١: ٤، رقم ٣٥٣٥)، والترمذي في «جامعه» في

(البيوع، ٣٨، رقم ١٢٦٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ لغيره الألباني في

(الإرواء) (١٥٤٤)، وفي «الصحيحه» (٤٢٣).

وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ - كَمَا فِي حَدِيثِ الْخِرَائِطِيِّ فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، كَمَا فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» -، قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ دِينِكُمْ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُهُ الصَّلَاةُ» (١).

فَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ - كَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ - عِظَمَ شَأْنِ الْأَمَانَةِ، وَجَعَلَ الْخِيَانَةَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي صِفَاتِ الْمُنَافِقِ: «وَإِذَا أُوتِمِنَ خَانَ» (٢).

فَالْخِيَانَةُ لَيْسَتْ مِنْ صِفَاتِ الْمُخْلِصِ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِ «وَإِذَا أُوتِمِنَ خَانَ»، وَهِيَ مِنْ أَحْسَسِّ وَأَحْقَرِّ الصِّفَاتِ؛ خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ فِي مَقَامِ الْإِتِّمَانِ.

فَإِذَا اتُّمِنَكَ إِنْسَانٌ فَكُنْتَ لَدَيْهِ أَمِينًا، فَاتُّمِنَكَ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ مِنْ عَمَلٍ أَوْ قَوْلٍ؛ ثُمَّ خُتِنَتْهُ - أَيُّ: خَانَهُ الْأَبْعَدُ -؛ فَالْخِيَانَةُ فِي مَقَامِ الْإِتِّمَانِ مِنْ أَحْسَسِّ وَأَحْقَرِّ مَا يَكُونُ؛ لِذَلِكَ هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ.

فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَمَرَ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ، فَالْعِبَادَاتُ أَمَانَةٌ، وَالْخِيَانَةُ فِيهَا أَنْ تُتَقَصَّصَ، فَإِذَا انْتَقَصَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعِبَادَةِ فَهُوَ خَائِنٌ.

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ترجمة ٢٠٤٩)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (رقم ١٧١)، وتمام في «فوائده» (رقم ١٩١)، والقضاعي في «مسنده» (رقم ٢١٦ و٢١٧)، والضياء في «المختارة» (٤/ رقم ١٥٨٣)، من حديث: أنسٍ رضي الله عنه، بلفظ: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الْأَمَانَةُ...»، وحسن إسناده الألباني في «الصحيححة» (١٧٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في (الإيمان، ٢٤: ١، رقم ٣٣) وفي مواضع، ومسلم في (الإيمان، ٢٥: ٢، رقم ٥٩)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُوتِمِنَ خَانَ».

وَالْمُعَامَلَاتُ أَمَانَةٌ، وَمَا يُسْتَأْمَنُ عَلَيْهِ الْمَرْءُ أَمَانَةٌ، وَالسِّرُّ أَمَانَةٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ تَعَلَّقَ بِهِ أَمْرٌ وَنَهِيَ فِي دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهُوَ أَمَانَةٌ، وَالْخِيَانَةُ فِيهِ أَلَّا يُؤْتَى بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَطْلُوبِ.

فَإِذَا كَانَ إِنْسَانٌ فِي عَمَلٍ، فَالْعَمَلُ الَّذِي اسْتَوْمِنَ عَلَيْهِ أَمَانَةٌ، فَإِذَا خَانَ فِيهِ فَهُوَ خَائِنٌ، وَجَزَاءُ الْخَائِنِ مَعْلُومٌ (*).

وَمِنْ دَلَائِلِ الْإِتْقَانِ فِي الْعَمَلِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَعَبَ التُّجَّارِ فِي الصَّدَقِ، وَرَهَبَهُمْ مِنَ الْكُذْبِ وَمِنَ الْحَلْفِ وَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢) وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: «صَحِيحٌ لغيره».

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٣) عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَلَقَطَهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَهُوَ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «هَدَايَا الْمُوظَّفِينَ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ ربيعِ الأولِ ١٤٣١هـ | ١٩ - ٢٠١٠م).

(٢) «الجامع»: (٣ / ٥٠٦، رقم ١٢٠٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

والحديث صححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢ / ٣٤٢، رقم ١٧٨٢).

(٣) «السنن» لابن ماجه: (٢ / ٧٢٤، رقم ٢١٣٩).

وزاد الدارقطني في رواية له (٣ / ٣٨٧، رقم ٢٨١٢): «... مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

والحديث حسن إسناده وصححه متنه لشواهد الألباني في «الصحيحة»: (٧ / ١٣٣٦ - ١٣٣٨، رقم ٣٤٥٣).

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا الْبَيْعَانِ وَبَيْنَا بُورِكٌ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا فَعَسَى أَنْ يَرْبِحَا رِبْحًا وَيُمَحَقَا بَرَكَةَ بَيْعِهِمَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١). (*)

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ضَرُورَةِ الْإِتْقَانِ فِي الْعَمَلِ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَكْلِ الْحَلَالِ؛ فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَمَرَنَا بِالْأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَاتًا وَكَسْبًا؛ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، أَنْ يَكُونَ طَيِّبًا فِي ذَاتِهِ، طَيِّبًا فِي كَسْبِهِ؛ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ طَيِّبًا فِي ذَاتِهِ، وَأَنْ يَكُونَ حَرَامًا فِي كَسْبِهِ، فَتَعَلَّقَ بِهِ الْحُرْمَةُ أَيْضًا.

وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا سَوَّى بَيْنَ الْمُرْسَلِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي وُجُوبِ الْأَكْلِ مِنَ الْحَلَالِ وَاجْتِنَابِ الْحَرَامِ؛ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. (٢/*)

إِنَّ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ مُحَرَّمٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وَلَا يَأْكُلُ بَعْضُكُمْ مَالَ بَعْضٍ دُونَ وَجْهِهِ مِنَ الْحَقِّ، كَالْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ، وَالْغَضَبِ، وَالسَّرِقَةِ، وَالْغَشِّ، وَالتَّغْرِيرِ، وَالرِّبَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: (٤ / ٣٠٩، رقم ٢٠٧٩)، ومسلم في «الصحیح»:

(٣ / ١١٦٤، رقم ١٥٣٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «نَصِيحَةُ الْأَمِينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتِجَارِ الْمُسْلِمِينَ» - ٣٠ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ

١٤٣٧هـ | ٢-٩-٢٠١٦م.

(٢/*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «هَدَايَا الْمُوظَّفِينَ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَيْبِعِ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ |

١٩-٢-٢٠١٠م.

فَلَا يَسْتَحِلُّ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ إِلَّا لِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ؛
كَالْمِيرَاثِ وَالْهَبَةِ، وَالْعَقْدِ الصَّحِيحِ الْمُبِيحِ لِلْمَلِكِ.

وَلَا يُنَازِعُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فِي الْمَالِ وَهُوَ مُبْطَلٌ، وَيَرْفَعُ إِلَى الْحَاكِمِ أَوْ
الْقَاضِي؛ لِيَحْكُمَ لَهُ، وَيَنْتَزِعَ مِنْ أَخِيهِ مَالَهُ بِشَهَادَةِ بَاطِلَةٍ، أَوْ بَيِّنَةٍ كَاذِبَةٍ، أَوْ رِشْوَةٍ
خَيْبِيَّةٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ تَحْرِيمَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ.

فَإِنَّ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ مُحَرَّمٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَلِيَمْتَثِلَ كُلُّ عَبْدٍ
أَمَرَ اللَّهِ بِاجْتِنَابِ أَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ؛ فَإِنَّهُ مُحَرَّمٌ بِكُلِّ حَالٍ، لَا يُبَاحُ فِي وَقْتٍ
مِنَ الْأَوْقَاتِ. (*)

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى وُجُوبِ إِتْقَانِ الْعَمَلِ أَنَّ الْإِسْلَامَ أَقَامَ مَحَازِيرَ مَنُهِيًا عَنْهَا فِي
الْمُعَامَلَاتِ: كَالظُّلْمِ، وَالغَشِّ، وَالتَّدْلِيْسِ، وَبَخْسِ الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ، وَبَخْسِ
الْحُقُوقِ أَخْذًا وَإِعْطَاءً؛ بَانَ يَأْخُذُ أَكْثَرَ مِمَّا لَهُ، أَوْ يُعْطِي أَقْلَ مِمَّا عَلَيْهِ، فَهَذَا مِنْ
أَعْظَمِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَهْلَكَ
أُمَّةً عَظِيمَةً بِسَبَبِ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ الْخَيْبِيَّةِ، وَهَذِهِ الْمُعَامَلَاتُ الْمُحَرَّمَةُ تَدْخُلُ فِي
قَوْلِهِ: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ﴾ [النساء: ٢٩]، كَمَا يَدْخُلُ فِيهِ
الْغَضَبُ وَالسَّرِقَةُ وَنَحْوُهُمَا» (٢). (*) (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيْقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -
[البقرة: ١٨٨].

(٢) «تَيْسِيرُ اللَّطِيفِ الْمَنَانِ» ضمن مجموع مؤلفات السعدي: (٣/ ١١٩-١٢١).
(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضِرَةُ
التَّاسِعَةُ)، الإثْنَيْنِ ٢٤ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٤هـ | ٣٠-٩-٢٠١٣م.

وَمِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى حَثِّ الشَّرْعِ عَلَى إِتْقَانِ الْعَمَلِ: الْأَمْرُ بِاسْتِيفَاءِ الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ،
وَتَخْرِيمِ الْبَخْسِ وَالتَّطْفِيفِ، قَالَ ﷺ: ﴿وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا أَلْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقُورُ أَوْفُوا أَلْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٤-٨٥].

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أَهْلِ مَدِينِ أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ وَاللُّغَةِ وَالْمَوْطِنِ شُعَيْبًا الْكَلِيلَ،
قَالَ: يَا قَوْمِ! وَحَدُوا اللَّهَ وَلَا تَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ مَا لَكُمْ فِي الْوَاقِعِ وَالْحَقِيقَةِ
مِنْ مَعْبُودٍ حَقٌّ يَصِحُّ أَنْ يُعْبَدَ سِوَاهُ.

وَلَا تَكِيلُوا وَتَرْتُوا لِلْغَيْرِ نَاقِصًا وَتَسْتَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْوِزْنَ لِأَنفُسِكُمْ زَائِدًا، إِنِّي
أَرَاكُمْ فِي نِعْمَةٍ وَسَعَةٍ تُغْنِيكُمْ عَنِ التَّطْفِيفِ، وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
مُّحِيطٍ يُدْرِكُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِالْعَذَابِ فَيَهْلِكُكُمْ جَمِيعًا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ فِي الْآخِرَةِ
بَعْدَ الْبَعْثِ لِلْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ وَتَحْقِيقِ الْجَزَاءِ.

وَيَا قَوْمِ! أَتَمُّوا أَلْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ وَافِيَيْنِ بِالْعَدْلِ، وَلَا تُطْفِفُوا فِيهِمَا، وَلَا
تَنْقُصُوا النَّاسَ مِمَّا اسْتَحَقُّوهُ شَيْئًا، وَلَا تَتَمَادُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بِأَعْمَالِكُمْ
الْإِجْرَامِيَّةِ الظَّالِمَةِ، وَمَنْعِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ، وَقَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى الْمُسَافِرِينَ. (*)

مِنْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَعَظَائِمِ الذُّنُوبِ: تَطْفِيفُ الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ.

وَالتَّطْفِيفُ: الْبَخْسُ وَالتَّقْصُ؛ فَهُوَ مُطْفَفٌ، وَالْجَمْعُ: مُطْفِفُونَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [هود: ٨٤ -

وَالْمَكَايِيلُ: جَمْعُ: مِكْيَالٍ، وَهُوَ وَعَاءُ الْكَيْلِ.

وَالْكَيْلُ: تَحْدِيدُ مَقْدَارِ الشَّيْءِ بِوَاسِطَةِ آلَةٍ مُعَدَّةٍ لِذَلِكَ تُسَمَّى الْمِكْيَالُ.

وَالْمَوَازِينُ: جَمْعُ: مِيزَانٍ، وَهُوَ آلَةُ الْوِزْنِ، وَالْوِزْنُ: تَقْدِيرُ الشَّيْءِ بِوَاسِطَةِ الْمِيزَانِ.

وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَجُودُ هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ وَالْآلَاتِ الَّتِي تُسَاعِدُهُمْ عَلَى تَحْدِيدِ مَقَادِيرِ الْمَوْزُونَاتِ وَالْمَكْيَالَاتِ، فَيَأْخُذُ الشَّخْصُ مَا يَجِبُ لَهُ تَامًّا، وَيُعْطِي مَا لِعَيْرِهِ عَلَى وَجْهِ التَّمَامِ أَيْضًا.

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ

﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧-٩].

وَقَالَ ﷻ فِي رِعَايَةِ الْمَوَازِينِ: «إِذَا وَزَنْتُمْ فَأَرْجِحُوا»^(١).

وَأَوْضَحَ آيَةَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ تَجْعَلُ التَّلَاعِبَ فِي الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ كَبِيرَةً مُوبِقَةً مُهْلِكَةً؛ هِيَ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَّا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦].

وَالْوَيْلُ فِي أَحَدِ الْأَقْوَالِ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَتَهَدَّدُ بِهِ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا أُولَئِكَ الَّذِينَ خَانُوا أَمَانَاتِهِمْ، وَبَاعُوا ذِمَّتَهُمْ، وَتَعَدَّوْا عَلَى حُقُوقِ الْآخِرِينَ. (*).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٢٢٢٢)، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣٩٤٢).

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «خُطُورَةُ الْإِحْتِكَارِ عَلَى الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ» - الْجُمُعَةُ

وَعَلَى الْمُوظَّفِ أَوْ الْعَامِلِ أَنْ يَحْذَرَ مِنَ التَّقْصِيرِ وَعَدَمِ إِتْقَانِ عَمَلِهِ؛ فَكُلُّ مَنْ أَسْنَدَ إِلَيْهِ عَمَلٌ، فَلَمْ يَأْتِ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ؛ فَقَدْ أَكَلَ مِنْ حَرَامٍ إِنْ كَانَ مُتَحَصِّلاً مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ عَلَى أَجْرٍ؛ شَاءَ أَمَّ أَبِي.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا كَانَ مُوظَّفًا يَتَحَصَّلُ عَلَى رَاتِبٍ فِي مُقَابِلِ عَمَلِهِ؛ كَثِيرٌ مِنْهُمْ -بَلْ جُلُثُهُمْ- لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُسْتَأْجِرُونَ، هُمْ أَجْرَاءُ، مُسْتَأْجِرُونَ عَلَى حَسَبِ عَقْدٍ مُبْرَمٍ وَلَا تِحَةَ لَهَا بُنُودٌ، وَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَزِمُوا بِمَا تَعَاقدُوا عَلَيْهِ بَدَأً.

وَكُلُّ مَنْ فَرَطَ فَقَدْ تَحَصَّلَ عَلَى مَالٍ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَهُوَ أَكَلٌ مِنْ حَرَامٍ، وَهُوَ مُغَدُّ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ، وَبَانَ بَيْتُهُ، وَمُقْتَنٍ مَرْكُوبُهُ مِنْ حَرَامٍ، هَذَا إِذَا كَانَتِ الْوُظَيْفَةُ فِي نَفْسِهَا بَعْدُ عَلَى مَا يَحِلُّ فِي دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مِمَّا شَرَعَ اللَّهُ.

فَإِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَعْمَلُ فِي مَا خُورٍ يُقَدِّمُ الْخُمُورَ، وَيَقُومُ عَلَى الْعَمَلِ مُتَفَانِيًا فِيهِ بِإِخْلَاصٍ، يَقُولُ: إِنَّهُ يَتَحَصَّلُ عَلَى أَجْرِهِ بِعَرَقِ جَبِينِهِ!!

فَأَيُّ حُرْمَةٍ تَلْحَقُهُ، وَالْعَمَلُ حَرَامٌ فِي أَصْلِهِ؟!!

وَإِذَا كَانَ الْعَمَلُ حَلَالًا -كَالْغَالِبِ عَلَى جُمْلَةِ الْأَعْمَالِ-، فَوَقَعَ تَقْصِيرٌ فِيمَا تَمَّ التَّعَاقُدُ عَلَيْهِ أَصْلًا؛ فَإِنَّ الْكَسْبَ هَاهُنَا يَكُونُ مِنْ حَرَامٍ، وَمَا تَحَصَّلَ عَلَيْهِ لِحِقَّتِهِ الْحُرْمَةُ لَا مَحَالَةَ.

فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ فِي مِهْنَةٍ هِيَ حَلَالٌ فِي أَصْلِ الشَّرْعِ؛ لَا يُؤَدِّيَهَا كَمَا يَنْبَغِي، وَيَتَحَصَّلُ عَلَى رَاتِبِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤَدِّيَ الْمَنْفَعَةَ الَّتِي تَعَاقَدَ عَلَيْهَا فِي أَصْلِ الْعَقْدِ، فَهُوَ أَكَلٌ مِنْ حَرَامٍ.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَذَرَ أَنْ يَأْخُذَ الْمَرْءُ شَيْئًا فِي أَثْنَاءِ الْعَمَلِ، يَعْنِي: فِي أَثْنَاءِ الْعَمَلِ كُلِّهِ، لَا فِي أَثْنَاءِ أَدَائِهِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَأْجَرٌ، قَدْ يَأْتِيهِ صَاحِبُ الْحَاجَةِ فِي بَيْتِهِ، لَا فِي عَمَلِهِ، فَيُعْطِيهِ؛ فَوَ اللَّهُ لَتَخْتَلِفَنَّ النَّظَرَةُ إِلَيْهِ؛ وَلَوْ كَانَ غَيْرَ صَاحِبِ حَقٍّ.

الْمُوظَّفُ الَّذِي يَقْبَلُ لَا أَقُولُ: الرِّشْوَةَ - حَاشَا لِلَّهِ -، وَهَلْ يَأْخُذُ مُوظَّفٌ رِشْوَةً؟! هُمْ جَمِيعًا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْفَلَاحِ، أَيْدِيهِمْ مُتَوَضِّئَةٌ!! لَا يَأْكُلُونَ إِلَّا مِنَ الْحَلَالِ الصَّرْفِ الَّذِي لَا شُبُهَةَ فِيهِ!! حَاشَا لِلَّهِ أَنْ نَظُنَّ بِمُسْلِمٍ سُوءًا؛ وَلَكِنْ نَحْنُ نُرَكِّزُ الْآنَ عَلَى الْهَدِيَّةِ، وَهِيَ لَا تَحِلُّ، الْهَدِيَّةُ لَا تَحِلُّ؛ «فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، وَبَيْتِ أُمِّهِ؛ لِنَنْظُرُ أَيُّهُدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟!»^(١).

وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيُخْرِجُ مِنْ وَظِيفَتِهِ فَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ أَحَدٌ، وَلَا خَادِمُهُ، وَلَا يَحْتَرِمُهُ، وَلَا يُقَدِّرُهُ إِلَّا إِذَا كَانَ صَالِحًا.

فَإِنَّهُ يُقَدِّرُ لِصَلَاحِهِ، وَأَمَّا لِمَنْصِبِهِ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَزُولَ عَنْهُ أَوْ يَزُولَ عَنْهُ، إِمَّا أَنْ يَزُولَ هُوَ عَنِ الْمَنْصِبِ أَوْ يَزُولَ عَنْهُ الْمَنْصِبُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَزُولَ عَنْهُ - وَقَدَّرَ أَنْتَ فَاعِلًا أَوْ مَفْعُولًا -، أَوْ يَزُولَ عَنْهُ - وَقَدَّرَ أَنْتَ فَاعِلًا أَوْ مَفْعُولًا -، حَتَّى يُجْعَلَ كَالذُّبَابِ قِيمَةً، وَاحْتِقَارًا، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ.

فَنَحْنُ الْآنَ فِي الْهَدِيَّةِ، فِي أَدَاءِ الْأَمَانَةِ، فِي أَنْ تَكُونَ آتِيًا بِمَا كُفِّتَ بِهِ وَتَعَاقَدْتَ عَلَيْهِ.

وَشُبُهَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ الْوُظَائِفِ، يَقُولُونَ: الْمَالُ لَا يَكْفِي.

(١) أخرجه البخاري في (الأحكام، ٢٤، رقم ٧١٧٤) وفي مواضع، ومسلم في (الإمارة، ٧:

١، رقم ١٨٣٢)، من حديث: أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه.

دَعَهَا! فَلَسْتَ مَجْبُورًا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّكَ إِنْ كُنْتَ مُكْرَهًا فَالْعَقْدُ بَاطِلٌ أَصْلًا،
وَإِنَّمَا أَنْتَ سَعَيْتَ إِلَيْهَا.

وَقِيلَ لَكَ فِي بَدْءِ التَّعْيِينِ: الرَّاتِبُ قَلِيلٌ.

تَقُولُ: هُوَ خَيْرٌ مِنْ عَدَمِهِ، وَنَحْنُ نَرْضَى بِالْقَلِيلِ.

ثُمَّ يَأْتِيكَ مَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ، لَوْ كَانَ لَهُ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ لَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ،
وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانٍ لَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ.

فَإِذَا كَانَ لَا يَكْفِيكَ، دَعَهَا، غَيْرُكَ يُرِيدُهَا، إِنْ لَمْ تُؤَدِّ كَمَا تَعَاقَدْتَ فَأَنْتَ آكِلٌ مِنْ
حَرَامٍ، آكِلٌ مِنْ سُحْتٍ؛ وَكُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ، هُوَ عَقْدٌ مِنْ
الْعُقُودِ الشَّرْعِيَّةِ، عَقْدٌ إِجَارَةٌ، أَنْتَ مُسْتَأْجِرٌ، تَتَحَصَّلُ عَلَى مَالٍ فِي نَظِيرِ مَنْفَعَةٍ تُؤَدِّيهَا
لِمَنْ اسْتَأْجَرَكَ، مِنْ مُعَلِّمٍ، وَطَيْبٍ، وَعَامِلٍ، وَمُهَنْدِسٍ وَمَا أَشْبَهَ، كُلُّهُمْ مُسْتَأْجِرُونَ.

وَعَمَّرَ قَبْرَكَ كَمَا عَمَّرْتَ قَصْرَكَ، وَآتَى اللَّهَ، عَمَّرَ قَبْرَكَ كَمَا عَمَّرْتَ قَصْرَكَ،
وَكَلُّ مَا تَتَحَصَّلُ عَلَيْهِ مِنْ فَائِدَةٍ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَأْكُلُ بِدِينِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي!! الرَّجُلُ إِذَا كَانَ مَوْصُوفًا
بِالصَّلَاحِ فَاشْتَرَى أَوْ بَاعَ؛ أَكْرَمَ لِصَلَاحِهِ، فَهُوَ يَأْكُلُ بِدِينِهِ، وَلَيْسَتْ الْعَادَةُ عِنْدَ
بَائِعٍ وَمُسْتَرٍ، وَإِنَّمَا يُكْرِمُهُ لِلْبَرَكَاتِ الَّتِي يَرْجُوهَا مِنْ وَرَائِهِ، فَهَذَا بَدَلُ بَرَكَاتِ
كَبَدَلَاتِ الْمُوظِّفِينَ!!

فَكُلُّ مَا تَحَصَّلَ عَلَيْهِ الْمُوظَّفُ مِنْ هَدِيَّةٍ - لَا نَقُولُ الرِّشْوَةَ، حَاشَا لِلَّهِ، وَلَا
السَّرِقَةَ، أَعُوذُ بِاللَّهِ، وَلَا الْغَضَبَ، وَلَا تَبْدِيدَ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا بِمَبْعَدَةٍ، هَذَا

يَفْعَلُهُ الشَّيَاطِينُ، أَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَحَاشَا لِلَّهِ!! - نَتَكَلَّمُ الْآنَ فِي الْمَنْفَعَةِ الْحَاصِلَةِ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ هَدِيَّةٍ وَمَا أَشْبَهَهُ، هِيَ لَا تَحِلُّ. (*)

وَمِمَّا يُعِينُ الْعَبْدَ عَلَى إِتْقَانِ الْعَمَلِ أَنْ يَسْتَشْعِرَ رُؤْيَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِعَمَلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتَرَدُّوكَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وَسَأَلَ جَبْرِيلُ عليه السلام النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ.

قَالَ جَبْرِيلُ: «فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ».

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (٢). (*) (٢).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! كَمَا حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى الْإِتْقَانِ فَقَدْ حَذَّرَ مِنَ التَّقْصِيرِ وَالْإِهْمَالِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى النَّاسِ، وَمُرَاقِبٌ لَهُمْ؛ حَيْثُ يَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

مُطَّلِعٌ عَلَى الْعِبَادِ فِي حَالِ حَرَكَاتِهِمْ وَسُكُونِهِمْ، وَسِرِّهِمْ وَعَلْنِهِمْ، وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، مُرَاقِبًا لَهُمْ فِيهَا مِمَّا يُوجِبُ مُرَاقَبَتَهُ، وَشِدَّةَ الْحَيَاءِ مِنْهُ بِلُزُومِ تَقْوَاهُ. (*) (٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصِرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «هَدَايَا الْمُوظَّفِينَ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣١ هـ | ١٩-٢-٢٠١٠ م.

(٢) «صحيح مسلم»: (١ / ٣٦ - ٣٨، رقم ٨).

وحدِيثُ جَبْرِيلَ عليه السلام فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ رِوَايَةِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بِنَحْوِ رِوَايَةِ عُمَرَ رضي الله عنه.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةَ» - (الْحَدِيثُ الثَّانِي: الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ)، الثَّلَاثَاءُ ٢٢ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥ هـ | ٢٦-١١-٢٠١٣ م.

(*) (٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تَفْسِيرُ الْعَلَامَةِ السَّعْدِيَّةِ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّسَاءِ).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

الَّذِي لَا يَتَّقِنُ عَمَلَهُ وَلَا يُرَاقِبُ اللَّهَ - تَعَالَى - فِيهِ أَيْمٌ بِقَدْرِ مَا يَتَسَبَّبُ فِي ضَيَاعِ الْأَمْوَالِ،
وَإِهْدَارِ الطَّاقَاتِ، فَهَذَا وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِ لَا تَتَّسِقُ أَعْمَالُهُمْ مَعَ الدِّينِ وَلَا الْوَطَنِيَّةِ وَلَا
الصَّمِيرِ الْحَيِّ؛ إِذْ إِنَّ عَدَمَ الْإِتْقَانِ بِمِثَابَةِ غِشٍّ لِلْمُجْتَمَعِ، وَإِهْدَارِ وَتَضْيِيعِ لِثِرْوَاتِهِ
وَمُقَدَّرَاتِهِ، وَإِبْدَاءِ خُلُقِ اللَّهِ الَّذِينَ نَهَيْنَا عَنْ إِيْدَائِهِمْ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا، غِشًّا أَوْ تَدْبِيسًا.

«إِنَّ تَخَلُّفَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ رُكْبِ الْحَضَارَةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَانْتِشَارَ مَظَاهِرِ التَّكَاسُلِ
وَالْخُمُولِ وَالتَّوَانِي فِي بَعْضِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَضَعْفَ إِتْقَانِهِمْ عَمَلَهُمْ إِنَّمَا هُوَ مِنْ
أَنْفُسِهِمْ وَأَهْوَانِهِمْ، وَضَعْفَ هِمَمِهِمْ وَنُفُوسِهِمْ، وَفَسَادِ ضَمَائِرِهِمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِوَحْيٍ
مِنْ تَوْجِيهَاتِ دِينِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ أَبَدًا، فَقَدْ رَأَيْنَا فِيمَا سَبَقَ دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْعَمَلِ
وَالْجِدِّ وَالنَّشَاطِ وَالْإِتْقَانِ، مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى -، وَرَفْضِهِ مَظَاهِرَ الْكَسَلِ
وَالْخُمُولِ، وَالتَّكْفُفِ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ، فَهَلَّا اسْتَيْقِظَ أَوْلِيكَ الْخَامِلُونَ النَّائِمُونَ الْكُسَالَى
مِنْ سَبَاتِهِمْ؛ لِيُلْحِقُوا أُمَّتَهُمْ بِرُكْبِ الْحَضَارَاتِ، وَيَنْفُضُوا عَنْ كَاهِلِهَا مَظَاهِرَ الذُّلِّ
وَالْهَوَانِ وَالتَّبَعِيَّةِ لِغَيْرِهَا مِنَ الْأُمَّمِ؟!»^(١).

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَى الْعَمَلِ، وَيَحْتُثُّهُمْ عَلَى السَّعْيِ
وَالتَّكْسِبِ، فَهُوَ دِينٌ يُؤَكِّدُ عَلَى الْحَرَكََةِ وَالْحَيَوِيَّةِ، وَيَذُمُّ الْكَسَلَ وَالْخُمُولَ
وَالْإِتْكَالِيَّةَ؛ إِذْ لَا مَكَانَ فِيهِ لِلِاسْتِرْحَاءِ وَالْبَطَالَةِ، وَالْإِعْتِمَادِ عَلَى الْآخَرِينَ
وَاسْتِجْدَائِهِمْ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ.

(١) من مقال بعنوان: «إِتْقَانُ الْعَمَلِ».

فَالْإِسْلَامُ دِينُ عِبَادَةٍ وَعَمَلٍ، يَحْتُ الْجَمِيعَ عَلَى الْإِنْتِاجِ وَالْإِبْدَاعِ، وَيَهَيِّبُ
بِفِئَاتِ الْمُجْتَمَعِ كَافَةً أَنْ تَنْهَضَ وَتَعْمَلَ بِإِتْقَانٍ، وَيَقُومَ كُلُّ بَدْوَرِهِ الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ
فِيهِ؛ لِنَفْعِ الْأُمَّةِ وَإِفَادَتِهَا. (*).

عِبَادَ اللَّهِ! فَلْيَجْتَهِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي آدَاءِ عَمَلِهِ عَلَى النَّحْوِ الْمَرْضِيِّ، فَإِنَّ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ جَعَلَ لِلنَّاسِ مَعَ النَّاسِ الْمَنَافِعَ الَّتِي لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ. (* / ٢).

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي أَنْفُسِكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ -، آدُوا أَعْمَالَكُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْمَرْضِيِّ
عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (* / ٣).



(* / ١) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «انْتِصَارَاتُ الْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٩
مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ | ٢٥-٥-٢٠١٨ م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «أَكُلِ الْحَلَالَ» - الْمُحَاضِرَةُ الثَّانِيَةُ.

(* / ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «أَكُلِ الْحَلَالَ» - الْمُحَاضِرَةُ الْأُولَى.



الفهرس

٣	المُقدِّمةُ
٤	الحثُّ على العمل في القرآن والسنة
١٩	العمل سنة الأنبياء والصحابة
٢٦	من فضائل العمل وفوائده
٢٨	عناية الإسلام بالحرف والمهنة
٣١	إِتْقَانُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرْفِ وَالْمِهَنِ سَبِيلُ الأُمَّمِ الْمُتَقَدِّمَةِ
٤٨	* الفهرس

